

بين القاهرة واستنبول

للدكتور عبد الوهاب عزام

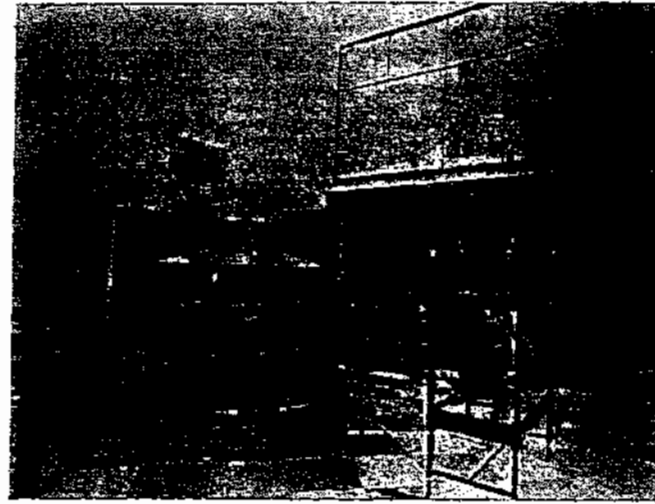
— ٥ —

متاحف طوب قبوسراى

يا أخى صاحب الرسالة

سلام عليك

وقفت بك فى الرسالة السابقة على عرش الشاه إسماعيل الصفدى . وجدير أن نطيل الوقوف عند هذا العرش الذى بذلت الصناعة وسماها فى هندسته وتذهيبه وترصيعه وتلوينه ، ولاءمت فيه يد الإبتقان بين الذهب والمينا والزمرد والياقوت ، وألفت بين ألوانها تأليفاً متآلفاً مرضياً ، وقد أرى فيه التكرار تلالاً تلالاً الجوهر



عرش إسماعيل فى وفاة من زجاج وبرى فى وسطها

وقفت عند هذا العرش أذكر الشاه إسماعيل هذا الملك الجبار الذى نشأ فى زلازل الحادثات حتى ملك أزمة دولة مبتدأة وهو لم يبلغ الحلم ؛ وما لبث أن مد سلطانه ما بين العراق إلى الهند ، ثم أودت أبنائه دولة لا تزال آثارها شاهدة بما آثرهم ، ناطقة بمظلمة ملكهم ، مذكرة بما طوى الدهر من سلطانهم

هذا العرش ما خطبه ، ما باله وخزائن سلاطين آل عثمان ؟ هنالك ذكرت جلاد سليم وإسماعيل ، وذكرت موقعة جالديران الموقعة التى كادت تذهب بدولة إسماعيل الناشئة ؛ لولا أن عانت سليماً الموائق . وجالديران وأرمديد وشمالي أذربيجان اصطفت فيه جنود سليم وجنود إسماعيل سنة ٩٢٥ من الهجرة . قسم سليم جنوده ، وجعل الانكشارية فى القلب وأخذ مكانه خلفهم ، وجعل المدافع وراء الجناحين وشد بعضها إلى بعض بالسلاسل . وصف إسماعيل جنوده ، وتولى قيادة الجناح الأيمن مائة وخمسون ألف جندي صمدت لملها ؛ فانظر هذه الحرب المتأججة يضرها ثلاثمائة ألف !

ويحمل إسماعيل الفتى الشجاع ، معتزاً بجنده ، مفتخراً بنسبه العلوى ، مصمماً أن ينتصر أو يقتل ، ويشق جناح العثمانيين الأيسر ويحسب أن النصر مقبل عليه

وتظاهر جناح العثمانيين الأيمن بالهزيمة وانقسم ، فتحمل ميسرة إسماعيل وترى بنفسها فى الفرجة بين القسمين فإذا هى أمام المدافع ، وإذا النيران تأخذها من كل جانب . لا تبدل الحال ويواتى العثمانيين الظفر

ويسقط إسماعيل عن جواده جريحاً وينجيه من الأسر القرب الفرار إلى تبريز ويأمر سليم بجمع الغنائم ، ويهوى بما نال من ظفر على عدوه الجبار

وسليم يدخل تبريز بعد ثلاثة عشر يوماً دون حرب ، وكانت تبريز يومئذ دار الملك وبها خزائن إسماعيل قد جمع فيها ما أخذ من التيموريين وغيرهم من الأمراء الذين غلبوا على ممالكهم . وبينما يدبر للاستيلاء على ملك إسماعيل كله يرى بين جنوده أمارات العصيان فيرجع أدراجه قائماً بما أحرز من نصر وما ملك من بلاده . ثم لم يبق فى تبريز إلا ثمانية عشر يوماً

هذا العرش مما غنم سليم فى هذه الحرب الضروس وذكرت حينئذ الرجل الكبير قانسوة النورى الذى خشى سولة سليم قالاً الشاه إسماعيل فأفسد ما بينه وبين العثمانيين